كلمة ممثّل منظمة اليونسكو

السّيد دودو ديين

منسّق مشروع طريق الحرير في مُنظمة اليونسكو

السيد الرئيس،

السيدة الوزيرة،

سيداتي سادتي،

لقد طلب مني السيد فدريكو ماير، المدير العام لمنظمة اليونسكو أن أقدم لكم أسفه الشديد لعدم حضوره شخصياً ليعبر عن الأهمية الكبرى التي توليها منظمة اليونسكو لندوتكم هذه.

وقد طلب مني كمدير لمشروع طرق الحرير ألا أمثل اليونسكو فحسب، بل أطلعكم على الأهمية العلمية الكبرى لندوة تدمر وطريق الحرير وعلى ما ستقدمه لمشروع اليونسكو في الدراسات الشاملة لطرق الحرير، طرق الحوار.

سيدتي الوزيرة، إن حضورك حفل افتتاح هذه الندوة يؤكد اعتقاد اليونسكو بأن الفاعلية القصوى لمشروع طرق الحرير ترجع إلى قدرة السلطات السياسية للبلاد المعنية بتعبيرها بطريقة سلمية ومحسوسة عن النتائج العلمية للبعثات الدولية.

إن المفهوم الرئيسي لمشروع اليونسكو هو فكرة الطرق. ويحمل الطريق هنا معناه الأسمى، كوسيلة اتصال بين شعوب وحضارات. فالحقيقة أنه على الطرقات تنقلت الشعوب على مر العصور. وعلى هذه الطرقات تلاقت شعوب وبالتالي نشأت علاقات. ويمكن القول إن تاريخ كل شعب وثقافته هما محصلة مسيرة ديناميكية مزدوجة، فمن جهة هناك حركات، لقاءات، اتصالات، تأثيرات وتحولات ومن جهة ثانية فإن هذه الحركات قد تتوقف لأسباب عدة. وتلتحم الجغرافية وذكاء هذه الشعوب وعبقريتها في معادلة كيميائية غامضة تتحول إلى هوية ثقافية خاصة. وتؤكد هذه المسيرة المعطيات الجوهرية التي سيتصدى لها مشروع طرق الحرير، تلك المعطيات التي اختبرت عبر منظور تاريخي واسع والتي لا يمكن إدراك الهوية الثقافية من خلالها كشيء مغلق أو معزول، بل على الأصح كمسيرة متفاعلة منفتحة. إن المضمون الفلسفي لهذا التحليل يكمن في الإقرار بالصفة الايجابية الأساسية لفكرة الاتصالات والتبادل المشترك في مجال الثقافة.

لقد كان لدى المؤسسين الأوائل لمنظمة اليونسكو شعور مسبق بأن الثقافة بقيمتها وبنموها تشكل أساساً صلباً لإمكانية التفاهم المتبادل وللسلام. ويعد مشروع طرق الحرير شكلاً جديداً تطرقه اليونسكو في المهمة الجوهرية التي أوكلت إليها. وتكمن وراء الأهداف العلمية والفكرية للمشروع فكرة جديرة بالثقة، ثقة بالاعتقاد القائل بأن تاريخ طرق الحرير يؤلف تراثاً مشتركاً، ثقة بالوحدة الأصلية للنوع البشري، ثقة بأن المعرفة الجيدة للماضي

وبالأخص الماضي المشترك تشكل أساساً صلباً لبناء المستقبل معاً. وضمن هذا الاتجاه يكون غرض مشروع طرق الحرير أبعد من التبحُّر في العلم، وذلك بالتوصل لتجديد حوار الماضي ولاعادة اكتشاف الآثار والدلائل التاريخية للتفاهم الإنساني الذي أغنى بشكل متبادل حضارات القارات الأوربية والآسيوية والإفريقية.

يتضح المقياس الأساسي لهذه الدراسة متعددة الاتجاهات وللحوار الثقافي المتبادل من خلال مشاركة ممثلي منظمات علمية من أكثر من ثلاثين دولة. لقد شارك مائة وسبع وخمسون مختصاً (تاريخيون، آثاريون، اقتصاديون، دارسي لغات..) في ثلاث بعثات علمية (طرق الصحراء، من اكسيان وحتى كشغر في الصين وذلك في شهري تموز-آب ١٩٩٠؛ الطرق البحرية، من ڤينيسيا وحتى أوزاكا بدءاً من شهر تشرين الأول عام ١٩٩٠ وحتى شهر آذار ١٩٩١؛ وطرق البادية، في آسية الوسطى السوڤياتية وذلك في ربيع عام ١٩٩١). وقد شارك هؤلاء العلماء في ثلاثة وعشرين مؤتمراً علمياً دولياً مقدمين ثلاثمائة وإحدى وسبعين محاضرة حول مشاكل طرق الحرير.

كما قُدمت ثماني عشرة منحة للبحث العلمي من منحة "هيراياما" لباحثين شباب عام ١٩٩١. وبوشر بخمسة مشاريع دولية للبحث بفضل شبكة العلماء الذين تمكنوا من الاتصال مع بعضهم من خلال مشروع طرق الحرير، وهذه المشاريع هي : الملاحم على طول الطريق البحرية في آسية الجنوبية والجنوبية الشرقية، دراسة للنقش على الصخر في آسية الوسطى، دراسة لغات وكتابات طرق الحرير، دراسة وصيانة خانات الطرق وأنظمة المراقبة وأخيراً علم الآثار الفضائي.

وتبين هذه الأمثلة غنى واتساع التبادلات التي نشأت بين العلماء الذين أعطوا بعض الامتيازات بفضل اليونسكو وتمكنوا من الوصول إلى المواقع التاريخية الرئيسية في البلاد المعنية حتى تلك المواقع الموجودة في مناطق محظورة، وذلك من خلال البعثات. ولعل النتيجة المباشرة لهذه الاتصالات العديدة الناشئة أثناء اللقاءات هي تعميق البحث العلمي، تقوية التعاون والتبادل العلمي بين الدول المعنية في المشروع وتكوين شبكة دولية من المؤسسات العلمية.

إن عملية توصيل النتائج العلمية للمشروع سواء للجماعات العلمية أو للعامة من الناس، تحتاج إلى جهد كبير في مجال نشر المعلومات. فقد نشر بعض الاختصاصيين الذين اشتركوا في البعثات، وما زالوا معنيين بالمشروع مقالات في مجلات مختصة في بلادهم. وقد أضيفت هذه المقالات مؤخرا على العدد الكبير من المؤلفات التابعة للمشروع، التي ستصدر خلال عام ١٩٩٢.

من ناحية أخرى، فإن وقائع المؤتمرات الدولية هي في طريقها إلى النشر تحت رعاية اليونسكو وبالمشاركة مع اللجان الوطنية. فالمحاضرات المقدمة تدرس وتقيّم من قبل لجنة خاصة في اليونسكو، ولجان وطنية لطرق الحرير أو لجنة وطنية لليونسكو، ومن قبل المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، وأعضاء مجموعات دولية، وكذلك من قبل لجنة إستشارية دولية، هذه الأخيرة ستصب اهتمامها على هذه المسألة في جلستها القادمة في نيودلهي.

وقد سمحت وسائل الإعلام التي صاحبت المشروع والتي أصبحت ممكنة بفضل المشاركة الفعالة لعدة صحفيين، مصوريين وبعثات تلفزيونية بدعم مصداقية المشروع وبنشر النتائج التي تم التوصل إليها. فقد شارك ثمانية عشر صحفياً في البعثات الدولية، وكُتب ما يزيد على أربعمائة مقال حتى يومنا هذا في الصحافة العامة وفي المجلات المختصة حول مشروع طرق الحرير (وخاصة حول البعثات الدولية). وتشكل الساعات الطويلة من الأفلام الملتقطة بمناسبة البعثات الثلاثة أساساً متيناً يفيد لاحقاً في انتاج الأفلام الوثائقية الدولية، كما سيفيد الباحثين. وقد تم انتاج عشرين فيلماً وطنياً في هيئات التلفزيون المساعدة للمشروع. كما تعطي الصور الفوتوغرافية الموضوعة في خدمة المشروع لمحة عامة عن المواقع التي تمت زيارتها وعن مسيرة البعثات. وتتألف

المجموعة المعدة من قبل اليونسكو حول طرق الحرير حتى يومنا هذا من سبعمائة ساعة لمادة مصورة ومن بضعة مئات من الصور الفوتوغرافية.

إن الفكرة التي يسعى مشروع طرق الحرير التعبير عنها هي أن الشعوب الأوربية الآسيوية، ومنذ زمن بعيد قد تلاقت بعمق ولفترات طويلة، وذلك على الصعيد المادي، الثقافي، الروحي، العرقي، حيث تتقاسم في النهاية تراثاً عاماً.

إن هذا التراث المشترك الذي يبدو كرابطة غير مرئية، لكنها غنية، راسخة كجذور الشجرة هو ما تحاول اليونسكو توضيحه، معرفته من جديد وتشجيعه من خلال مشروع طرق الحرير.

ولأجل هذه المساعي بالتحديد تولي اليونسكو أهمية كبيرة لندوة تدمر. إن الاسم القديم لتدمر قد أشار ومنذ زمن بعيد إلى فكرة تقاطع الطرق، مكان الإلتقاء، التبادل والإشعاع. وضمن هذا السياق كانت تدمر أكثر من ملتقى للطرق، كانت نقطة مرور لكن وبالأخص نبعاً، أي مكان تآلف، عطاء، مكان إشعاع ونقطة انطلاق جديدة في تاريخ الحضارات.

إن ندوة تدمر قادرة إذا وبفضل إشعاع مكان خصيب كهذا، أن تنير مسيرة الإنسان والأفكار والقيم، وأن تعطي بالتالي حياة واستمراراً للقوى العميقة التي تربط كل الشعوب والثقافات والحضارات في أوروبة الآسيوية.

ليس الرهان هنا تاريخياً أو علمياً فحسب بل هو وبشكل أعمق أخلاقي، فلسفي، وحتى سياسي. وهذا يتعلق بالعمل البنّاء الموكل إلى اليونسكو أن تنشىء حب الدفاع عن السلام في ضمائر الناس.